

## سورة الكوثر

وتسمى سورة النحر

مكية

في قول ابن عباس رضي الله عنهما والكلبي ومقاتل ، ومدنية في قول الحسن وعكرمة ومجاهد وقتادة ، وهي ثلاث آيات وعشر كلمات واثنان وأربعون حرفاً

{بسم الله} الذي لا حد لفائض فضله {الرحمن} الذي شمل الخلائق بجوده فلا رادّ لأمره {الرحيم} الذي خص حزبه بالاعتصام بحبله

جزء : 4 رقم الصفحة : 694

وقوله تعالى : {إنا} أي : بما لنا من العظمة {أعطيناك} أي : خوّلناك مع التمكين العظيم يا أشرف الخلق {الكوثر} أي : نهرًا في الجنة هو حوضه صلى الله عليه وسلم ترد عليه أمته ، لما روي عن أنس أنه قال : "بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم بين أظهرنا إذ غفا إغفاءة ثم رفع رأسه مبتسماً فقلنا : ما أضحكك يا رسول الله ؟

قال : أنزل عليّ آناً سورة فقراً {بسم الله الرحمن الرحيم إنا أعطيناك الكوثر} إلى آخرها ، ثم قال : أتدرّون ما الكوثر ؟

قلنا : الله ورسوله أعلم ؟

قال : فإنه نهر وعدنيه ربي خير كثير هو حوض ترد عليه أمي يوم القيامة آنيته عدد النجوم ، فيختلج العبد منهم فأقول رب إنه من أمّتي ، فيقول : ما تدري ما أحدث بعدك". وعن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "الكوثر نهر في الجنة حافتاه من ذهب ومجره على الدر والياقوت ، تربته أطيب من المسك ، وماؤه أحلى من العسل وأبيض من الثلج".

وعن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "دخلت الجنة فإذا أنا بنهر يجري بياضه بياض اللبن ، وأحلى من العسل ، وحافتاه خيام الدر ، فضربت بيدي فإذا الثرى مسك

أذفر ، . فقلت لجبريل : ما هذا ؟

قال : الكوثر أعطاكه الله تعالى". وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "حوضي مسيرة شهر ، ماؤه أبيض من اللبن ، وريحه أطيب من المسك ، وكيزانه كنجوم السماء من شرب منها لا يظمأ أبداً".

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "أنا فرطكم على الحوض ، وليرفعن إليّ رجال منكم حتى إذا أهويت إليهم لأناولهم اختلجوا دوني ، فأقول : إي : رب أصحابي ، فيقال إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك". وعن ثوبان أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن عرضه فقال : "من مقامي

695

إلى عمان" وسئل عن شرابه فقال : "أشدّ بياضاً من اللبن ، وأحلى من العسل فيه ميزابان يمدانه من الجنة أحدهما من ذهب والآخر من ورق". و عن أبي هريرة أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "يرد عليّ يوم القيامة رهطان من أصحابي" ، أو قال : "من أمّتي فيجلون عن الحوض فأقول : أي : رب أصحابي ، فيقول إنه لا علم لك بما أحدثوا بعدك كما أنهم ارتدّوا على ادبارهم القهقري".

ولمسلم أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "ترد عليّ أمّتي الحوض وأنا أذود الناس عنه كما يذود الرجل إبل الرجل عن إبله ، قالوا : يا نبيّ الله تعرفنا قال : نعم لكم سيما ليست لأحد غيركم تردون عليّ غرّاً محجلين من آثار الوضوء ، وليصدنّ عني طائفة منكم فلا يصلون ، فأقول : يا رب هؤلاء أصحابي فيجيبني فيقول : وهل تدري ما أحدثوا بعدك". وأحاديث الحوض كثيرة ، وفيما ذكرناه كفاية لأولي الألباب فنسأل الله تعالى أن يروينا منه نحن وأحبابنا ، ويدخلنا وإياهم الجنة بغير حساب.

جزء : 4 رقم الصفحة : 695

قال القاضي عياض : أحاديث الحوض صحيحة ، والإيمان به فرض ، والتصديق به من الإيمان. وقال ابن عادل : وهو على ظاهره عند أهل السنة والجماعة لا يتأول ولا يختلف فيه ، وحديثه متواتر النقل رواه خلائق من الصحابة اه. وقيل : الكوثر القرآن العظيم ، وقيل : : هو النبوة والكتاب والحكمة وقيل : هو كثرة أتباعه.

وقيل : الكوثر الخير الكثير الذي أعطاه الله تعالى إياه. وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما : الكوثر الخير الكثير. قال أبو بشر : قلت لسعيد بن جبير : إن ناساً يزعمون أن الكوثر نهر في الجنة ؟

فقال سعيد : النهر الذي في الجنة من الخير الكثير الذي أعطاه الله تعالى إياه. وأصل الكوثر فوعل من الكثرة والعرب تسمي كل شيء كثير في العدد أو كثير القدر والخطر كوثرًا قيل : لأعرابية رجع ابنها من السفر : آب ابنك ، قالت : آب بكوثر ، وقال الشاعر :

\*وأنت كثير يا ابن مروان طيب \*\* وكان أبوك ابن العقائل كوثرًا\*

وقيل : الكوثر الفضائل الكثيرة التي فضلها على جميع الخلائق.

تنبيه : لا منافاة بين هذه الأقوال كلها فقد أعطيها النبي صلى الله عليه وسلم وأعطي صلى الله عليه وسلم النبوة والحكمة والعلم والشفاعة والحوض المورود ، والمقام المحمود ، وكثرة الاتباع ، وإظهاره على الأديان كلها ، والنصر على الأعداء ، وكثرة الفتوح في زمنه إلى يوم القيامة ، وأولى الأقاويل في الكوثر وهو الذي عليه جمهور العلماء أنه نهر في الجنة.

ولما كمل له سبحانه من النعم ما لا يأتي عليه حصر مما لا يناسب أدناه نعيم الدنيا بجملتها

سبب عنه قوله تعالى آمراً بما هو جامع لمجامع الشكر :

{فصلٍ} أي : بقطع العلائق عن الخلائق بالوقوف بين يدي الله تعالى في حضرة المراقبة شكراً لإحسان المنعم ، خلافاً للساهي عنها والمرائي فيها. {لربك} أي : المحسن إليك بأنواع النعم مراغماً من شئت فلا سبيل لأحد عليك {وأنحر} أي : أنفق له الكوثر من المال على المحاويج خلافاً لمن يدعهم ويمنعهم الماعون ، والنحر أفضل نفقات العرب لأنّ الجزور الواحد يغني مائة مسكين ، وإذا أطلق العرب المال انصرف إلى الإبل.

وقال محمد بن كعب : إن ناساً كانوا يصلون لغير الله تعالى ، وينحرون لغير الله فأمر الله تعالى نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم أن يصلي وينحر لله عز وجل. وقال عكرمة وعطاء وقتادة : {فصل لربك} صلاة العيد يوم النحر ، وانحر نسكك ، واقتصر على هذا الجلال المحلي وقال سعيد بن جبير ومجاهد : فصل الصلاة المفروضة بجمع ، أي : مزدلفة ، وانحر البدن بمنى. وعن ابن عباس رضي الله عنهما : وضع اليمين على الشمال في الصلاة عند النحر. وعن علي : أنّ معناه أن يرفع يديه في التكبير إلى نحره. وقال الكلبي : استقبل القبلة بنحرك. وعن عطاء أمره أن يستوي بين السجدين جالساً حتى يبدو نحره.

جزء : 4 رقم الصفحة : 695

إنّ شانتك { أي : مبغضك والشانيء المبغض ، يقال : شنأه يشنؤه ، أي : أبغضه } هو الأبت { أي : المنقطع عن كل خير ، وأما أنت فقد أعطيت ما لا غاية لكثرته من خير الدارين الذي لم يعطه أحد غيرك فمعطي ذلك كله هو الله رب العالمين فاجتمعت لك العظمتان السنيتان إصابة أشرف عطاء وأوفره من أكرم معط وأعظم منعم ، أو المنقطع العقب لا أنت لأنّ كل من يولد إلى يوم القيامة من المؤمنين فهم أعقابك وأولادك وذكرك مرفوع على المنابر والمناثر وعلى لسان كل عالم وذاكر إلى آخر الدهر يبدأ بذكر الله تعالى ويثني بذكرك ولك في

الآخرة ما لا يدخل تحت الوصف فمثلك لا يقال له أبتَر إنما الأبتَر هو شأنك المسيء في الدنيا والآخرة وقال الرازي : هذه السورة كالمقابلة للتي قبلها فإنه ذكر في الأولى البخل وترك الصلاة والرياء ومنع الماعون وذكر ههنا في مقابلة البخل {إنا أعطيناك الكوثر} وفي مقابلة الصلاة {فصل} أي : دم على الصلاة وفي مقابلة الرياء {لربك} أي : لرضاه خالصاً ، وفي مقابلة منع الماعون {وانحر} أي : تصدق بلحم الأضاحي ثم ختم السورة بقوله تعالى : {إنّ شأنك هو الأبتَر} أي : أنّ المشاقق الذي اتى بتلك الأفعال القبيحة سيموت ولا يبقى له أثر وأما أنت فيبقى لك في الدنيا الذكر الجميل وفي الآخرة الثواب الجزيل.

واختلف المفسرون في الشانئ فقيل : هو العاص بن وائل وكانت العرب تسمي من كان له بنون وبنات ثم مات البنون وبقي البنات أبتَر فقيل : إنّ العاص وقف مع النبي صلى الله عليه وسلم يكلمه فقال له جمع من صناديد قريش : مع من كنت واقفاً مع ذلك الأبتَر ، وكان قد توفي قبل ذلك عبد الله ابن النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت الآية.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان أهل الجاهلية إذا مات ابن الرجل قالوا أبتَر فلان فلما توفي عبد الله ابن النبي صلى الله عليه وسلم خرج أبو جهل على أصحابه فقال : بتر محمد فنزلت. وقال السدي : إنّ قريشاً كانوا يقولون لمن مات ذكور ولده بتر فلان فلما مات لرسول الله صلى الله عليه وسلم القاسم بمكة وإبراهيم بالمدينة قالوا بتر محمد فليس له من يقوم بأمره من بعده فنزلت.

697

وقيل : لما أوحى الله تعالى إلى النبي صلى الله عليه وسلم دعا قريش إلى الإيمان قالوا : أبتَر منا محمد ، أي : خالفنا وانقطع عنا فنزلت.

تنبيه : قال أهل العلم قد احتوت هذه السورة على قصرها على معان بليغة وأساليب بديعة منها دلالة استهلال السورة على أنه تعالى أعطاه كثيراً من كثير ومنها إسناد الفعل إلى المتكلم

المعظم نفسه ، ومنها إيراده بصيغة الماضي تحقيقاً لوقوعه كما في قوله تعالى : { أتى أمر الله }  
(النحل : 1)

جزء : 4 رقم الصفحة : 695

ومنها : تأكيد الجملة بأن. ومنها بناء الفعل على الاسم ليفيد الإسناد مرتين.

ومنها : الإتيان بصيغة تدل على مبالغة الكثرة.

ومنها : حذف الموصوف بالكوثر لأنّ في حذفه من فرط الشيع والإبهام ما ليس في إثباته ،

ومنها تعريفه بأل الجنسية الدالة على الاستغراق.

ومنها : فاء التعقيب الدالة على السبب فإنّ الإنعام سبب للشكر والعبادة ، ومنها التعريض  
بمن كانت صلواته ونحوه لغير الله تعالى ، ومنها أنّ الأمر بالصلاة إشارة إلى الأعمال الدينية التي

الصلاة قوامها وأفضلها والأمر بالنحر إشارة إلى الأعمال البدنية التي النحر أسناها ، ومنها

حذف متعلق النحر إذ التقدير فصل لربك وانحر له ، ومنها مراعاة السجع فإنه من صناعة

البديع العاري عن التكلف ، ومنها قوله تعالى : { لربك } في الإتيان بهذه الصفة دون سائر

صفاته الحسنى دلالة على أنه المرابي له والمصلح بنعمه ، فلا يلتمس كل خير إلا ممنه ومنها

الالتفات من ضمير المتكلم إلى الغائب في قوله تعالى : { لربك } ومنها الأمر بترك الاهتمام

بشأنه للاستئناف ، وجعله خاتمة للإعراض عن الشأن ، ولم يسمه ليشمل كل من اتصف

بهذه الصفة القبيحة ، ولو كان المراد شخصاً معيناً لعينه الله تعالى .

ومنها : التنبيه بذكر هذه الصفة القبيحة على أنه لم يتصف إلا بمجرد قيام الصفة به من غير

أن تؤثر فيمن يشنؤه شيئاً البتة ، لأنّ من يشنأ شخصاً قد يؤثر شنؤه شيئاً.

ومنها : تأكيد الجملة بأن المؤذنة بتأكيد الخبر ، ولذلك يتلقى بها القسم وتقدير القسم يصلح

هنا. ومنها الإتيان بضمير الفصل المؤذن بالاختصاص والتأكيد إن جعلنا فصلاً ، وإن جعلناه

مبتدأ فكذاك يفيد التأكيد ؛ إذ يصير الإسناد مرتين.

ومنها : تعريف الأبر بآل المؤذنة بالخصوصية بهذه الصفة كأنه قيل : الكامل في هذه الصفة.  
ومنها إقباله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم بالخطاب من أول السورة إلى آخرها. وقول  
البيضاويّ تبعاً للزمخشريّ عن النبيّ صلى الله عليه وسلم "من قرأ سورة الكوثر سقاه الله من كل  
نهر في الجنة ، ويكتب له عشر حسنات بعدد كل قربان قرّبه العباد في يوم النحر ، أو يقربونه"  
حديث موضوع.

698

جزء : 4 رقم الصفحة : 695